واذا كان من الصعب الاجماع على القول ان اسرائيل دخلت مرحلة بداية النهاية ، بتصدع القاعدة الاساسية للزمن الاسرائيلي ، وهي قاعدة الامن التي شكل الايمان المطلق باستحالة خلخلتها جوهر التجربة الاسرائيلية طيلة ربع القرن الفائت ، فانه ليس صعبا بالمقدار ذاته القول ان هذه المرحلة هي مرحلة الدخول في نهاية البداية الاسرائيلية كما صيغت حتى الان .

ان الكثيرين من المفكرين والمثقفين الاسرائيليين قد توصلوا الى القناعة بأن اسرائيل القوية قد انتهت . وان استمرار تجربة شرعية العنف التي خلقت حتمية الحرب الدائمة ستحفر قبر المشروع الصهيوني حتى لو انتصرت اسرائيل . « انتصار آخر كهذا ، وذموت » .

لقد وصف أحد الكتاب الاسرائيليين البارزين ، عاموس كينان ، ما يجري في الحياة الاسرائيلية ، منذ حرب تشرين حتى الان ، بأنه عملية حساب حقيقي مع النفس ، لم يحدث لها مثيل منذ ست وعشرين سنة . ولخص ما يجري بأنه شهادة على التدهور التدريجي الاكيد لكل البناء الذي أقامه مؤسسو الدولة عام ١٩٤٨ . ونقل عن شخصية اسرائيلية بارزة شاركت في كل المعارك السياسية الدولية التي سبقت قيام اسرائيل قولها : « ان دولة اسرائيل السابقة ، الدولة التي أنشئت عام ١٩٤٨ غير موجودة الان. لقد انتهت » [يديعوت احرونوت ٧٤/٤/٢٤] .

ووصف المعلق السياسي البارز في صحيفة « يديعوت أحرونوت » أرئيل غيناي العام السادس والعشرين من عمر اسرائيل ، بأنه نقطة تحول . وأجرى مقارنة سريعة بين هذا العام والعام السابق قائلا : « في العيد الماضي كان الاسرائيليون هم الذين ضربوا الفدائيين في قلب بيروت . أما اليوم فان الفدائيين هم الذين يضربون كريات شمونة . وقبل سنة كانت تفصلنا عن مصر قناة السويس . وكنا نعتبر الانسحاب من خط القنال كارثة . واليوم نعرف انه لا وجود لسد منيع ». [٧٤/٤/٢٤] .

وحذر الجنرال المتقاعد متتياهو بيلد من الانتصارات العسكرية التكتيكية ، وقال في مقال بصحيفة « معريب » ان الانتصار التكتيكي قد لا يخدم هدف الحرب . وعدم تحقيق هدف الحرب معناه الهزيمة .

واستخلص الجنرال من انتصار اسرائيل في حرب حزيران العبرة التالية : « ان العبرة السياسية الكبرى من حرب الايام الستة هي أنه قد آن الاوان بأن تبادر اسرائيل الى معركة سياسية كبيرة ومتعددة الجوانب من أجل السلام ، وهي تحمل ورقة مساومة ذات أهمية نادرة وهي المناطق المحتلة . ولكن قيادة اسرائيل السياسية قد بذلت جهودا لتشويه الصورة العسكرية لتبرر التوسع الاقليمي » . [٧٤/٤/٢٤] .

وحدد متتياهو بيلد التحدي الكبير الذي تواجهه السياسة الاسرائيلية للخروج من المأزق ، بضرورة وضع استراتيجية تدمج معطيات « حرب الاستقلال » مع امكانيات الدولة في تحقيق الهدف القومي وهو : ضمان قيام دولة اسرائيل والحيلولة دون المس بحدودها .

ان « حساب النفس » الذي انتجه «الزلزال» يصل الى كل المفاهيم والقيم الصهيونية الاسرائيلية . وهذه المراجعة الشاملة تنطلق من ادراك ان عدم النصر هو مقدمة الهزيمة . أو من أن المزيد من النصر العسكري ، في حال تحققه ، سيعطي مردود هزيمة ، لانه لن يكون قادرا على تحقيق هدف الحرب وهو التوصل الى السلام .

وتقود خلاصة هذه المراجعات أصحاب الاسئلة الى الشك بسلامة الطريق الذي